مجلة تداوليات ISSN :2992-0795
المجلد: الثالث / العدد: الأول 01 / جويلية 2025 / ص ص: 75- 103

# حروف المعاني في شرح الكافية لرضيّ الدين الإستر اباذي

## قراءة وظيفية في ضوء منهج اللسانيات التداولية

# Particles of Meaning in Radi Al-Din Al-Astarabadhi's Commentary on al-Kafiyah: a Functional Reading in Light of Pragmatic Linguistics

أ. فاطمة الزهراء زيدالخير(مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب الأدبي)

المدرسة العليا للأساتذة بالأغواط – الجزائر-

f.zidelkhir@ens-lagh.dz

**الملخص:**

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة وظيفية لحروف المعاني في شرح الكافية للرضي الإستراباذي، وذلك في ضوء المنهج التداولي، وتنطلق الدّراسة من فرضية أنّ تحليل الرضي لهذه الحروف لم يكن مجرد إحصاء لمعانيها الظاهرة؛ بل كان يعكس فهمًا عميقًا للعلاقة بين البنية اللغوية ووظيفتها التواصلية، ولإثبات ذلك، يتتبّع المقال كيفية ربط الرّضيّ بين دلالات الحروف، ومقاصد المتكلم، والسياقات التي ترِد فيها، ممّا يبرز إدراكه لقدرتها على أداء أفعال كلامية، وتوجيه المعنى.

ويخلص البحث إلى أنّ منهج الرّضيّ يمثّل أصولًا تداولية في التراث النحوي العربي، وأنّ إعادة قراءة أعماله من هذا المنظور تفتح آفاقًا جديدة لفهم عمق النحو وقدرته على استيعاب الأبعاد الوظيفية للغة.

**الكلمات المفتاحية:** شرح الكافية، الرضي الإستراباذي، حروف المعاني، السياق، المعنى الضمني، الأقوال المضمرة، القوى اللإنجازية.

**Abstract:**

This research aims to provide a functional analysis of the particles of meaning (ḥuruf al-ma'ani) in al-Radi al-Astarabadhi's commentary on al-

Kafiyah, within the framework of pragmatic methodology. The study is grounded in the hypothesis that al- Radi's examination of these particles was not merely an enumeration of their apparent meanings but rather reflected a profound understanding of the relationship between linguistic structure and communicative function. To substantiate this claim, the article traces how al-Radi connects the semantic values of particles with speaker intentions and the contexts in which they occur, thereby demonstrating his recognition of their capacity to perform speech acts and shape meaning.

The research concludes that al-Radi's approach embodies pragmatic principles within the Arabic grammatical tradition and that revisiting his works from this perspective opens new path for understanding the depth of Arabic syntax and its capacity to encompass the functional dimensions of language.

**Key Words:**Al-Kafiyah commentary, Al-Radi Al-Astarabadhi, Particles of meaning, Context, Implicit meaning, Implicit utterances

**1. مقدمة:**

لطالما نُظر إلى النّحو على أنّه مجموعة من القواعد الصارمة التي تضبط الألسن، وتصحّح الأخطاء، في تركيز شديد على الجانب الشكلي للجملة؛ هذه النظرة، التي تعتبر اللغة نظامًا مغلقًا، كانت ترى في القواعد غايةً في ذاتها، وتفصل بين البنية اللغوية، والمعنى الذي تسعى إلى تحقيقه.

لكنّ اللسانيات الحديثة جاءت لتغيّر هذا المنظور، معتبرة النحو نظامًا ديناميكيًا ومرنًا، وظيفته الأساسية هي خدمة المقاصد التواصلية، لم تعد القاعدة النحوية مجرد حكم على الصواب والخطأ، بل أصبحت أداة يختارها المتكلم بوعي لتحقيق غرض معين، معتمدًا على السياق، والمعرفة المشتركة مع المخاطب.

إنّ هذا التحوّل المنهجي يمنحنا فرصة لإعادة قراءة تراثنا النحوي بعين جديدة، حيث يمكننا أن نكتشف أن علماءنا القدامى، لم يكتفوا بوضع القواعد، بل أدركوا بفطرتهم اللغوية العميقة الأبعاد الوظيفية، والتداولية لهذه القواعد.

من هذا المنطلق؛ تعدّ الحروف في اللّغة العربية من الأهميّة بمكان، وتحتلّ مكانة تخولّها إبراز وظائف ومعان كثيرة، بأقل جهد، فيما يعرف عند النحاة بالاقتصاد اللغوي،

وقد احتفى النّحاة بحروف المعاني وأَوْلَوها عنايتهم المتمثّلة في سبر مواقعها، وإحصاء معانيها، وتتّبع سياقاتها المتعدّدة، وكان اهتمامهم مدفوعًا بفهم عميق للعلاقة بين الشكل اللغوي والوظيفة التواصلية، إذ ربطوا دلالات هذه الحروف بشكل وثيق **بمقاصد المتكلم**، والمعاني التي يريد إيصالها، حسب المقامات التّواصلية المتعدّدة.

وينطلق المقال من إشكالية علمية مفادها: هل يتضمن شرح الرضي تحليلا وظيفيا؟ وكيف طبقه؟ وما مدى مقاربته للمفاهيم الوظيفية التداولية الحديثة؟

## 2. الملامح الوظيفيّة في الدّرس اللّساني الغربيّ:

لقد أصبح جليا، أنّ حصر اللّغة في جانبها الصّوري التّجريدي، بمعزل عن واقعها الاجتماعي، هو في الواقع إزهاق لروح اللّغة وحيويتها واتّساعها ومرونتها وتجلّيها الحقيقي على ألسنة قومها.

ولعلّ ما جعل الوظيفيّة الغربية أكثر مرونة وانسيابيّة، دراستها للّغة انطلاقا من الواقع اللّغوي (الكلام) وليْس من جهازها المفاهيمي الّذي يبنى على الطّرح الصُّوري البعيد عن روح اللّغة الاجتماعيّة، فاللّغة من

هذا المنطلق؛ كلام مستعمل من قبل شخص معيّن، في مقام معيّن، موجّه إلى مخاطب معيّن لأداء غرض معيّن.[1]

إلاّ أنّها من جانب آخر تنقسم إلى قسمين:[2]

- تيار وظيفيّ بنيويّ: وهذه الوظيفة تتحدّد بكونها ذلك العمل أو الدّور الّذي تؤدّيه وحدة ما في بنية نحوية، بحيث أن كلّ عنصر من العناصر، ينظر إليه على أنّه عنصر مشارك في معناها العامّ، وهذا المفهوم أدّى بالدّراسة البنيويّة إلى تبنّي مبدأ الشّرح والتّفسير بناء على أنّ الاهتمام بمبدأ الوظيفة يقود إلى الفكرة القائلة بأنّ دراسة حالة لغة ما، مستقلة عن أي اعتبار تاريخي، يمكنها أن تحصل على قيمة تفسيرية وليس فقط وصفية،وبذلك فهي لم تذهب بعيدا في دراسة السّياق إلاّ في حدود ضيقة
- تيّار وظيفي تداولي: يتّخذ من التّواصل البشريّ غاية تسعى لها اللّغة، وهذا المنهج أمريكي في معظمه لكونه متأثّرا بمنهج الفلسفة التّحليلية الّذي كان له أثر بعيد في الدّراسات اللّسانية، استطاع أنْ يجعل من السّياق وملابسات وشروط استعمال اللّغة هدفا وموضوعا للدّراسة اللّغوية، ويعتبر هذا المنهج لصيقا بالمنهج التداولي، وإرهاصا من إرهاصات نشأته وهو ما جعل اللّغة تنعطف إلى مسار جديد، وفتح آخر من فتوحاتها، انطلاقا من الدّلالة والسّياق.

1 - ينظر: مسعود صحراوي،مقال: المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي،مجلة الدراسات اللغوية، العدد 01، المجلّد 05، 1424- 2003، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ص42.

2 - ينظر: دبّة الطّيب، مبادئ اللّسانيات البنيوية-دراسة تحليلية إبستيمولوجية-، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين-دار القصبة للنّشر، الجزائر، ط أولى (2001م).ص100.

### 3. الملامح الوظيفيّة في الدّرس اللّساني العربيّ القديم:

لم يغفل النّحاة القدامى عن هذه الحقيقة، وغيرها من الحقائق الوظيفيّة الّتي توصلت إليها، وتصادفنا في الكثير من الكتب التّراثية طروحات وظيفية تراعي البعد الاجتماعي والسّياق الثقافي، والمدى التّواصليّ بين أطراف العملية التّواصلية، ولقد فسّر علماؤنا التّراكيب اللّغوية بمحاذاة السّياق، إذ أنّهم جعلوه منطلقهم الأساسيّ في الدّراسة، وبنوا عليه صرحهم، ولم يقتصر هذا على النّحاة؛ بل أيضا على علم الأصول والبلاغة والتّفسير

وكان عملهم كلاّ متكاملا، برع فيه مجموعة من العلماء المبّرزين، وهذا يتلخّص في نقطتين:[3]

- أنّ اللّغويين العرب القدامى لم يفهموا من اللّغة أنّها نظام من القواعد المجرّدة فحسب؛ بل ربطوا ماهيّة اللّغة بوظيفتها، وفقهوْا منها أنّها وسيلة اتصّال بين المتخاطبين.
- أنّ الدّراسة اللّغوية التّراثية كانت وظيفيّة، بمعنى أنّ أئمة النّظرية اللّغوية العربيّة كانوا يعتقدون في عمومهم، أنّ المنهج الأكثر ملاءمة لدراسة اللّغة، هو المنهج الّذي يراعي الرّبط بين الخطاب من جهة؛ وبين ملابسات الخطاب وأغراضه من جهة أخرى.

ومن هذا المنطلق فزع المحدثون العرب إلى التّراث العربيّ، يحاولون تلمّس آثار هذا المنهج، وفي الحقيقة؛ أنّ التّراث اللّساني العربيّ لا يخلو من إضاءات وظيفية، تنطلق من مفهوم السّياق، وليس معنى هذا أنّ علماءنا طبقوا مفاهيم الوظيفيّة بحرفية؛ لأنّهم أسبق زمانا، واللّغة الّتي يدرسونها لها خصوصيتها واستقلالها، والثّقافة الّتي تؤطّرهم تختلف بالكليّة عن الثّقافة الغربية فضلا عن المعاصرة، هذا مع اختلاف الإطار الإبستيمولوجي لكلا الحضارتين.

3- مسعود صحراوي، الأفعال المتضمّنة في القول بين الفكر المعاصر والتّراث العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة- الجزائر،2004م.ص22.

ومفهوم الوظيفة قديم عند علمائنا، قِدم النّحو، ابتداء من سيبويه الّذي كانت رؤيتُه للّغة لا تنفصم عراها عن باقي المعطيات، وها هو في كتابه يورد أكثر من مثال يجمع فيه بين التّفسير اللّغوي وملاحظة السّياق، وهو إلى جانب ذلك يتوسّع في تحليل التّراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية الّتي تستعمل فيها وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب، وحال المتكلّم وموضوع الكلام.[4]

وعلى هذا الأساس؛ تُشير الدراسات الحديثة إلى أن الجملة العربية تمتلك وحدة دلالية متكاملة، تتطلب اتساقًا بين معانيها الجزئية عبر علاقات نحوية وسياقية، هذه العلاقات ليست على درجة واحدة من القوة، فبعضها وثيق كعلاقة الشيء بنفسه، وبعضها الآخر ضعيف كعلاقته بغيره، ولتحقيق هذا الاتساق، تلجأ اللغة إلى مفهومي **الارتباط والربط**."[5]

**4. الرّضي وشرحه:**

**أ. شرح الكافية:**

على الرّغم ممّا حظيت به الكَافية لابن الحاجب من اهتمام وتداول، وما استأثرت به من شهرة، حتّى غدت مصدرا مهما من مصادر النّحو العربي، سواء من ناحية الطّرح المنهجي، المصطبغ بالأسلوب التّعليمي، أو من ناحية الطّرح الموضوعي المتسم بالفكر المنطقي، والمنهج العلمي المكين وكثرة ما قيل فيها، وما كتب حولها من شروح وحواش وتعليقات؛ إلاّ أنّها لم تحظ بشرح قيّم كالّذي أتى به رضي الدّين الإستراباذي، صاحب أشهر شرح لهذه المدونة، وأفضل ما قيل فيها.

ويعدّ منهج الرّضي غنيّا بالتّحليل والتّعليق، "فلقد عالج الرّضي متن الكافية، وناقش صاحبها نقاشا علميا جادا، فلم يكن مجرد شارح أو عارض لآراء ابن الحاجب، وإنّما كان متفحّصا دقيقا، ينقد

4- ينظر: نهاد الموسى، [نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النظر اللّغوي الحديث]، دار البشير، ب-ط، ص97.
5- ينظر: مصطفى احميدة، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة، ص195.

اللّفظ، ويحاكم النّص الّذي يشرح، بعد أن يوازن بينه وبين الآراء المختلفة، فيبرز المحاسن، كما يناقش المساوئ".[6]

فاستعانالرّضي بفكر الأعلام من النحاة، أمثال سيبويه والجرجاني والخليل والزّمخشري، وهي لعمري فائدة تعود بالنّفع على النّحو العربي، لأنّه استطاع تطويع كلّ ذلك الموروث الفكريّ، في قالب يلبي حاجات أهل عصره ويختصر لهم مسيرة النّحو على مدى سبعة قرون.[7]

وقد استوقفت مفاهيمه الرّائدة وطروحاته النّاضجة المتخصّصين قدماء ومحدثين، وهي لا تختلف كثيرا عما توصّل إليه علم اللّغة الحديث، فقد فهم الرّجل مراد صاحب المتن، وفقهه، وعرف أنّ اللّغة شكل ومعنى يصبّان في قالب وظيفي تواصلي، بل تداولي، وهو بهذا الثراء المنهجي، والّتشعب الفكريّ، أوجد لنا مادّة دسمة تصلح للتّطبيق والاستجداء، بل إنّها مورد معين يمد البّاحث بآراء لا مثيل لها، من حيث الرّيادة والعمق والإبداع.

**ب. التحليل الوظيفي التداولي لحروف المعاني:**

تعتبر الحروف والأدوات في الدّرس التّداولي مرتعا خصبا، يتضمّن البحث في المعاني والأغراض الّتي يتوخّاها المتكلم، فهي في نظر التّداوليين "أفعال كلاميّة ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو ذاتيّة بالكلمات، أي أنّها تقصد التّأثير في المخاطب بحمله على فعل أو ترك، أو دعوته، أو تقرير حكم من

6- فضل خليل إبراهيم، [رضي الدّين الإستراباذي ومنهجه في شرح الكافية]، رسالة ماجستير، كليّة الدّراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، عمّان-الأردن، (2002م)، ص 92.

7- ينظر: ليلى حسين عثمان، رضي الدّين وكتابه شرح الكافية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد-الأردن، (2005م)، ص24

الأحكام، أو تأكيده، أو التّشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد المتكلم المخاطبَ، أو وعيده أو إبرام عقد من العقود أو فسخه، أو مجرد الإفصاح عن حالة نفسية معينة، وهي معان كثيرة"[8].

وتعدّ هذه الحروف مفاتيحدلاليّة، تتضمّن الكثير من المعاني الّتي يدركها كلّ من المتكلّم والمخاطب، فيما يسمّى بالمعارف المسبقة والأقوال المضمرة والّتي تندرج ضمن ما يسمّى في التّداوليات (متضمّنات القول)، وهو مفهوم إجرائي تداولي يتعلّق برصد جملة من الظواهر المتعلّقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، وتحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره.[9]

يعرف مصطلح الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة، عند البلاغيين بالأغراض البلاغية،ومعنى المعنى، وهي غير واردة في سياق التّواصل بين الطّرفين؛ إلاّأنّها تشكل خلفية مشتركة بينهما، فإذا ما تعطّلت هذه المعرفة؛ تعطّل معها التّواصل واختّل، وبالتّالي؛ يفشل وتلغى الغاية منها.

ويعرّف التّداوليون الافتراض المسبق، بكونه مجموعة من المعارف والمعطيات الأساسية والمتداولة والّتي يكتسبها من الثّقافة واللّغة والمجتمع...الخ[10]

أمّا مفهوم الأقوال المضمرة؛ فهو مرتبط بوضعية الخطاب ومقامه، وهو مجموع المعلومات الّتي يمكن للخطاب أو الكلمات أن تحويها داخل السّياق.[11]

والفرق بين الافتراض المسبق، والأقوال المضمرة؛أنّ الأوّل وليد السّياق الكلامي، والثّاني وليد ملابسات الخطاب، وهي مفيدة للمتكلّم في إيصال مقاصده، وتبليغ غاياته بأقلّ جهد ممكن، لرسم إستراتيجيّته في الكلام وتحديد نوعها.

8 - مسعودصحراوي، الأفعال المتضمنة في القول في الفكر المعاصر والتّراث العربي، ص289.
9 - ينظر: مسعود، صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب، دار الطّليعة، بيروت-لبنان، ط1(2005م)، ص30.
10 - ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية، تر: محمد يحاتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب-ط، ص34.
11 - ينظر:مسعود صحراويالتّداولية عند العلماء العرب، دار الطّليعة، بيروت-لبنان، ط1(2005م)، ص30.

أمّا بالنّسبة للمخاطب؛ فإنّها تقوم بتوجيهه، والإيحاء له بمعان لا يصرّح بها إلاّ أنّه يضمّنها في الحروف من خلال التّصرف فيها حسب ما تسمح به قوانين النّظم، ويمكن إرجاع الأسباب المؤديّة لاستعمال المتكلّم لهذه الأفعال المضمرة ضمن المعاني إلى:[12]

- الاحتراز عن التّطويل؛ فالحروف أدوات للاختصار وتضمين معان كثيرة سواء نحويّة أو صرفيّة أو دلاليّة، وقد سبق الإشارة إليها.
- القصد في الإيجاز: لكون الحروف قصيرة لفظا وجامعة معنى.

ومن هذا المنطلق؛ فالرّضيّ كغيره من النّحاة؛ يرى بأنّ الحرف قسم من أقسام الكلم، وركن من أركانه، إلاّ أنّه مغاير من جهة الاستقلالية، الّتي لا تتأتّى له، إلاّ باتّصاله مع ما سواه، وحيث أنّ معناه موجود في اتّصاله بما سواه من اسم -أو فعل، وكل حرف عنده له دلالة لغوية، ودلالة سياقية يخرج بها عن أصل النّوع، وذلك حسب ما يسمح به مفهوم اتّساع اللّغة، وتتعدّد المعاني لتعدّد الأغراض، ولهذا قيل عن الحرف هو: "ما وضع للإفضاء بفعل أو شبهه أو معناه إلى ما يليه"[13]

**ت. الوظائف التداولية لحروف الجرّعند الرّضيّ:**

وحروف الجر عند الرّضي: "من وإلى وحتى وفي اللام ورب، وواو القسم وتاؤه وعن وعلى والكاف ومن منذئذ وحاشا وعدا وغلا..."[14]

ويعدّ السّياق خير موجّه للرّضيّ في تحليله لمعاني الحروف داخل تراكيبها، فكان تحليله وظيفيا إلى حدّ ما، والمعاني أو ما يسمى تداوليا بالقوى الإنجازية الّتي تؤديها حروف الجرّ داخل السّياقالتّركيبي بحسب مقاصد المتكلّم، وملابسات المقام الّذي تتحكم فيه، من وجهة نظر الرّضي مايلي:

12 - عبد الرّحمن طه، اللّسان والتّكوثر العقلي، المركز الثّقافي للنّشر، الدّار البيضاء-المغرب، ط1(1998م)، ص150.
13 - الرّضي، شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، طبعة(1415هـ-1995م)، ج2، ص319
14 - رضي الدّين الإستراباذي ، شرح الكافية في النّحو، ج2، ص319.

• **الحرف من:** تتضمّن المعاني التّالية:[15]

- ابتداء الغاية، التّبيين، التّبعيض، زائدة في غير الموجب،الإفضاء، الوصول(التعدّية)، **(سرت من البصرة)، (هذا الكتاب من زيد إلى عمر)**- الابتداء في غير زمان.
- تأتي بمعنى (عن) الّتي للتجاوز: **(خرجت من المكان)** أي عنه.
- تأتي غاية للفاعل والمفعول لكون الفعل مشتركا بينهما: **(رأيت الهلال من مكاني).**
- التّبيين: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾(الحج: ٣٠)، و(**يعجبني من زيد كرمه).**
- التّبعيض: **(أخذت من الدّراهم)**؛ أي من الدّراهم شيئا.

وقد وظّف الرّضيّ السّياق في تفسيره لمعنى (من) في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(نوح: ٤)؛ أي: شيئا من ذنوبكم، وهذا يتناقض مع قوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣)، وقد قام بتخريج هذا الأمر؛ حيث نسب الآية الأولى لقوم نوح، والآية الثانية لقوم محمد (صلى الله عليه وسلم).

• حرف الباء[16]:

يقصد المتكلّم بها معاني: الإلصاق، الاستعانة، المصاحبة، المقابلة، التّعدية، الظّرفية، تكون زائدة في الخبر والنّفي والاستفهام؛ فتأتي للإلصاق، مثل:(به داء)؛ أي: التصق به داء، وكذلك: **(مررت به)**؛ أي: ألصقت المرور بمكان يقرب منه.[17]

- كما وتأتي الباء للاستعانة،كقولهم:**(كتبت بالقلم)، و(بتوفيق الله)**.[18]

15 - ينظر: نفس المصدر،ج2، ص319.
16 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص321.
17 - ينظر: نفس، المصدر، ج2، ص327.
18 - ينظر: المصدر السّابق، ج2، ص327.

- تكون بمعنى المصاحبة، نحو: ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ﴾( **المائدة: ٦١)**[19].

- تكون بمعنى (من): ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾(الإنسان: ٦)[20].

• حرف اللام[21]:

تفيد معنى الاختصاص، التّعليل، تأتي زائدة، وبمعنى عن، وبمعنى الواو في القسم، التّعجب، فتأتي للاختصاص مثل: **(المال لزيد)**.[22]

- وتأتي بمعنى العاقبة، مثل: **(لدوا للموت)**[23].

- وتأتي بمعنى(إلى) مثل: **(سمع الله لمن حمده)**،كما قال الرّضيّ: «أي: (**سمع الله لمن حمده**)، و: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام: ٧٩) ؛ أي: إلى الّذي.[24]

- وتأتي بمعنى(على) مثل: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾(الصافات: ١٠٣) ،أي عليه، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٩)، أي عليها.

- وتأتي للتّعجب: «يعنون في الأمر العظيم الّذي يستحقّ أن يتعجّب منه، فلا يقال: (الله لقد قام زيد)، بل يستعمل في الأمور العظام، نحو:(**الله لتبعثن**)».[25]

19 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص327.
20 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص328.
21 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص323.
22 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص328.
23 - ينظر: نفس المصدر، ج2،ص328.
24 - ينظر:نفس المصدر، ج2، ص329.
25 - ينظر: نفس المصدر، ج2،ص329.

• الحرف إلى[26]:

تفيد انتهاء غاية الزمان والمكان،مثل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْلَيْلَةَآلصِّيَامِٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْوَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ ﴾(البقرة: ١٨٧). وبمعنى (مع)، مثل قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْۖوَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِۖوَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾(النساء: ٢).

• الحرف حتّى[27]:

تأتي بمعنى(كي): **(أسلمت حتى أدخل الجنة)**، وتأتي بمعنى(إلى): **(سرت حتى مغيب الشمس)**، وقوله: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾(القدر: ٥).

وفي قولهم: **(ضربت القوم حتى زيد)** بالجر، وذلك لغرض التّعظيم والتّحقير، بل قد تكون أيضا للتّفصيل لما قبلها، فإذا دخل في الإجمال دخل في التّفصيل، وإذا لم يدخل لم يدخل.[28]

وفي سياق ترتيب درجة شدة الحروف؛ يقول الرّضيّ: «إذا رتبت الأجزاء الأقوى فالأقوى، فإذا ابتدأت بقصدك من الجانب الأضعف مصعدا كان آخر الأجزاء أقواها، نحو: (مات الناس حتى محمد صلى الله عليه وسلم)، بالعطف وليس هو صلى الله عليه وسلم، آخرها حسّا ولا دخولا، بل هو آخرهم شرفا وقوة، فإذا ابتدأت بعنايتك من الجانب الأقوى منحدرا؛ كان آخر الأجزاء أضعفها، نحو:(**قدم الحاج حتى المشاة**)، ويجوز أن يكونوا قادمين قبل الرّكبان أو معهم...، كذلك: **(قرأت القرآن حتّى سورة النّاس)**؛ فما بعد(حتّى) هو آخر أجزاء ما قبلها. »[29]

26 - ينظر: نفس المصدر، ج2،ص323.
27 - ينظر: المصدر السّابق، ج2، ص323.
28 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص325.
29 - نفس المصدر، ج2، ص325.

يوضّح الرضي أن استخدام حرف العطف **"حتّى"**ليس مجرد ربط شكلي، بل هو دال على ترتيب معنوي دقيق. فعندما يرتب المتكلم أجزاء كلامه من الأضعف إلى الأقوى، فإنّ **"حتّى"**تُستخدم للدلالة على آخر الأجزاء قوةً وشرفاً، كما في قولهم: **(مات الناس حتى محمد صلى الله عليه وسلم)**، حيث لا يكون النبي آخر من مات حسّاً، بل هو آخرهم مكانةً وشرفاً. وعلى النقيض من ذلك، إذا ابتدأ المتكلم بالجانب الأقوى منحدراً إلى الأضعف، فإنّ **"حتى"**تأتي للدلالة على آخر الأجزاء ضعفاً، كقولهم: **(قدم الحجاج حتى المشاة)**، حيث يُفهم أن المشاة هم أضعف فئة من الحجاج. كما يمكن أن تُستخدم **"حتى"**لبيان النهاية الحسية للأجزاء، كقول: **(قرأت القرآن حتى سورة الناس)**؛ فما بعد **"حتى"**هو آخر أجزاء ما قبلها في الترتيب المادي.

إذن؛ فالرّضي ناقش مسألة تدخل في صميم الدّرس التّداولي، وذلك في درجة الشّدة والمعاني وقدرتها على أداء المعنى أولا، وهنا في سياق الكلام عن (حتّى) الجارّة والعاطفة قال: «إذا كانت عاطفة جاز دخولها على المضمر، نحو: **(جاءني القوم حتّى أنت) و(رأيت القوم حتّى إياك) و(مررت بالقوم حتى بك)**، أمّا الجارّة؛ فلا تدخل على المضمر اجتزاء بـ(إلى)، لكون(إلى) أشدّ تمكنّا وأوسع تصّرفا، ولهذا تدخل آخر الأجزاء وأوسطها، وتقوم مقام الفاعل، نحو: **(قيم إلى زيد)**، ولا يقال:**(قيم حتّى عمرو)**...،ومن الفرق بين (حتّى) و(إلى)؛ أنّ (حتّى) يلزمه تقدّم ذي الأجزاء إمّا لفظا أو تقديرا، بخلاف (إلى)، وإنّ الأظهر دخولا ما بعد حتى في حكم ما قبلها... ».[30]

فحروف الجر عند الرّضيّ تكتسب قوة وتراتبيّة في أدائها للمعاني، إذ هناك القويّة والأقوى، ومن هذا المنطلق؛ فإنّ الحرف يؤدّي معنى، ويحتل مرتبة قد لا يحتلها ما هو دونه قوة، ونعني بالقوة هنا؛القوة الإنجازية للحرف، فكلّما كان الحرف قويّا؛كانت المعاني الّتي يؤدّيها أقوى وأكثر، والسّياقات الّتي ترد فيها

30 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص326.

متعدّدة،وهذا ما يلاحظ في (حتّى) و(إلى)؛في كون الثّانية أقوى من الأولى، وأنّ (إلى) حرف جر بالأصالة، أمّا (حتّى) فيمكن أنّ تكون حرف جر أو حرف عطف حسب السّياق، وهذا ما يجعلها أقل رتبة من سابقتها، والدّليل على ذلك أنّ بعض الحروف تستعير المعاني من بعضها كما سبق.

فـ(حتّى) الابتدائية قد تأتي للتّحقير كما في قوله[31]:

فواعجبا حتّى كليب تسبّني *** كأنّ أباها نهشل أو مجاشع

وقد تكون للتّعظيم:

فما زالت القتلى تمجّ دماؤها *** بدجلة حتّى ماء دجلة أشكل

- الحرف في:

تكون إمّا للظّرفية وإمّا للتّحقيق، وذلك مثل أن يقال: **(زيد في الدّار)**، أو تقديرا نحو:**(نظر في الكتاب)**، و(تفكّر في العلم)، و**(وأنا في حاجتك)**، لكون الكتاب والعلم والحاجة شاغلة للنظر والتفكر والمتكلّم، مشتملة عليها اشتمال الظّرف على المظروف، فكأنّها تحيطه بها من جوانبها[32].

- تكون بمعنى (إلى) كقوله: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾(إبراهيم: ٩).

- تكون بمعنى (مع) كقولهم: **(في الله من كل فائت خلف)**؛ أي: في ألطافه،وقولهم:**(أنت أخي في الله)**؛ أي: في رضاء الله، ورضاء الله مشتمل على مؤاخاتنا، لا يخرج عنه إلى الأغراض الدنيوية، وكذا قولهم:**(الحب في الله)**، و**(البغض في الله)**[33].

31 - ينظر: المصدر السّابق، ج2، ص326.

32 - ينظر: نفس المصدر، ص327.

33 - نفس المصدر، ج2، ص327.

- الحرف ربّ:

تأتي للتّقليل مجازا، وللتّكثير حقيقة.

- الحرف عن:

تساقللمجاوزة؛ أي لبعد الشّيء عن المجرور بها،نحو:**(رميت عن القوس)**؛ أي: بعُد السّهم عن القوس، بسبب الرّمي، وأيضا: **(أطعمه عن الجوع)**؛ أي: بعده عن الجوع بسبب الإطعام، وقد أورد الرّضيّ بعض بعض التّراكيب الّتي توظّف فيها (عن) مجازا، وذلك مثل:[34]

- (أدّيت الدّين عن زيد).
- (رويت عنه علما)، و(أخذته عنه)، كأنّك نقلته عنه.
- **(جلست عن يمينه)**؛ أي: تراخيت عن موضع يمينه بالجلوس.
- قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(النور: ٦٣)، يتضمن معنى: يتجاوز.
- وقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾(الانشقاق: ١٩)،طبقا متجاوزا في الفضل عن كابر آخر، أو كابر أبعد.
- ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾النجم: ٣)؛أي:نطقا صادرا عن الهوى.

- الحرف على:

34 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص340

تكون للاستعلاء مثلا: **(زيد على السطح)**، وهذا حقيقة، أو**(عليه دين)**، وهذا مجاز، وإنّما نقل عن الحقيقة، لأنّه يشبه من يحمل ثقلاً على ظهره أو عنقه، وهذا أشبَهُ أيضا بقولهم: **(عليّ قضاء الصّلاة)**، و**(عليه القصاص)**؛ كأن الحقوق راكبة لمن تلزمه.

- وأيضا: **(توكّلت على فلان)**؛كأنّك تحمل ثقلك عليه، ثم صار بمعنى:**(وثقت به)**،وقولهم: **(فلان على جلالته يقول كذا)**؛ أي: معها.

- (**سر على اسم الله)**، أي ملتزما به فكأنّه مركب يحملك إلى مقصودك.

- ومنه **(مررت على فلان)**؛لأنه يفيد أن مرورك به كان من جهة الفوق،بخلاف معنى: (**مررت به**) التي تكون للإلصاق.[35]

- **الكاف**: للتّشبيه، نحو: (**جاءني الّذي كزيد**).[36]
- حاشا وعدا وخلا: للاستثناء.[37]

وتجدر الإشارة إلى رأي الرّضيّ حول مسألة التّناوب بين حروف المعاني[38]؛ فهو وإن جارى النّحاة في شرح معاني الحروف، وإمكانية استبدال إحداها بالأخرى؛ إلاّ أنّه عارض ابن الحاجب في كثيرمن المواضع، وكان ميله إلى وجوب ورود كل حرف على معناه الوظيفي الأصلي، وهو يورد نصا في ذلك: «واعلم أنّه إذا أمكن في كل حرف يتوهّم خروجه عن أصله، وكونه بمعنى كلمة أخرى؛ فإنّ الأصل أن يبق على معناه الموضوع له، ويضمّن فعله المعدّى به معنى من المعاني يستقيم به الكلام؛ فهو الأولى، بل الواجب، فلا تقول أنّ (على) بمعنى (من) في قوله تعالى: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾(المطففين: ٢)؛ بل يضمّن:

35 - ينظر: المصدر السّابق، ج2،ص342.
36 - ينظر: نفس المصدر، ج2،ص343.
37 - ينظر: نفس المصدر، ج2،ص345.
38 - عوض إبراهيم وحسين إبراهيم، دلالة حروف المعاني في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (2006م)، ص56، استعمل الباحثان مصطلح التّناوب والتّعاقب للدّلالة على حلول حرف مكان الآخر.

(اكتالوا): (يحكموا في الاكتيال)، و(يسلّطوا)، ولا يحكّم بزيادة(في) في قوله: (**يجرح في عر اقيبها نصلي**)، بل يضمّن: (يجرح) معنى: (يؤثّر بالجرح)»[39]، وشبيه بذلك قوله في موضع آخر: «والأولى إبقاء الحروف على معناها ما أمكن...»[40].

إلاّ أنّ الرضيّ لم يتعصّب لمذهبه، فقدّم مجموعة من النّماذج أين توجد هذه الظّاهرة، هذا لأنّه محكوم بإجماع النّحاة، وهناك ملاحظة هامّة؛ وهي أنّ النّحاة تفطّنوا لظاهرة الاتّساع في الدّلالة، والّتي تؤدّيها أكثر من كلمة،وتتناوب فيها الكلمات حسب السياق، والمقصدية، والحروف هي من جملة الكلمات الّتي تفضي إلى التّوسع، وإلى الاختصار معا، كما أورد ذلك ابن جني حيث قال: «فإذا كانت هذه الحروف نوائب عمّا هو أكثر منها من الجمل وغيرها؛لم يجز من بعد ذا أن تخترق عليها، ويجحف بها...».[41]

**ث. الوظائف التداولية لحروف العطف عند الرّضيّ:**

القسم الثّاني من حروف المعاني؛ وهو حروف العطف، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى العطف، والعطف في اللّغة هو: الإمالة والثّني، فإنّ حروف العطف تُميل ما بعدها إلى ما قبلها، وتشركه في الحكم،هذا من النّاحية اللّغوية، وأمّا من النّاحية الاصطلاحية؛ فإنّها تعني ربط لفظٍ بلفظ بواسطة حرف من حروف العطف العشرة؛ وهي: الواو، الفاء، ثمّ، حتّى، أمّا، وأم، ولا، وبل ولكن.[42]

ولكل حرف من هذه الحروف معنى ووظيفة داخل التّركيب يقصدها المتكلم بأقصر لفظ، وفيما يلي عرض لمعانيها، كما جاء عند الرّضيّ: " فإنّ كلاّ من **الواو والفاء وثمّ وحتىّ** تشترك في كونها تدلّ على الجمع؛ إلاّ أنّها تختلف وتتفاوت درجة ومعنى، وذلك أنّ الواو تدلّ على الجمع مطلقا، ومعنى ذلك، أنّه

39 - الرّضي، شرح الكافية، ج2، ص345.
40 - نفس المصدر، ج2، ص342.
41- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة قصور الثقافة، سلسلة الذخائر (ع 146)، ج1، ص276.
42 - ينظر: الرّضي، شرح الكافية، ج2، ص36.

يحتمل أن يكون حصل الأمر من كليهما في زمن واحد، وأن يكون حصل من (زيد) أوّلا، وأن يكون حصل من (عمرو) أوّلا، إلاّ أنّ الميزة في الواو؛ هي استحالة وجود التّرتيب، ولذلك تستعمل فيما يستحيل فيه التّرتيب، ومثال ذلك: **(المال بين زيد وعمرو)**، و**(تقاتل زيد وعمرو)** وقد تكون لما يجيء فيه الثاني قبل الأول، مثل قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(آل عمران: ٤٣)".[43]

ومن جهة أخرى؛ فإنّ الواو تجمع تارة اسمين فصاعدا في فعل واحد، وذلك مثل: **(قام زيد وعمرو)**؛ والمعنى: حصل منهما القيام؛ وتارة ثانية تجمع الفعلين فصاعدا في اسم، نحو:(قام زيد وقعد)، والمعنى: حصول كلا الفعلين من زيد؛وتارة أخرى تجمع مضموني الجملتين فصاعدا في الحصول، مثل: (قام زيد وقام عمرو)، و**(زيد قائم وعمرو قاعد)**.[44]

أمّا إذا كانت الواو في سياق النّفي، كقولهم: **(ما جاءني زيد وعمرو)**؛ فإنّ النّفي يشملهما معا، فهو نفي لمجيئهما في وقت واحد ونفي للتّرتيب، وقد يؤتى باللاّم اجتنابا للّبس والتّوهم من المخاطب، ففي قولهم: (**ما جاءني زيد ولا عمرو)**؛ خيف أن يكون مراد المتكلّم: (**ما جاءني زيد مع عمرو)**، فيكون قد نفى الاجتماع في الوقت ذاته، فلا يترتب مجيء أحدهما على الآخر، إذ أدخلت اللاّم دفعا لهذا التّوهم.[45]

- حرف الفاء:

تدلّ على الجمع، ولكن مع التّرتيب بلا مهلة، ومثال ذلك: **(قام زيد فعمرو)**؛ أي: حصل قيام عمرو عقب قيام زيد بلا فصل، وكذلك:**(ضربت زيدا فعمرو)**؛ أي:وقع الضّرب على عمرو عقب وقوعه على زيد؛ وأمّا إذا دخلت على الصّفات المتتالية لموصوف واحد؛ وقع التّرتيب في مصادر تلك الصّفات مثل: (جاءني زيد الآكل فالنائم)؛أي: الّذي يأكل فينام.

43 - نفس المصدر، ج2، ص37.
44 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص364.
45 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص364.

وكذلك إذا عطفت مضمون جملة على أخرى؛ فإنّها تفيد كون مضمون الجملة الّتي بعدها عقيب مضمون الجملة الّتي قبلها بلا فصل، وقد تأتي في موضع التّفصيل بعد الإجمال مثل:(**أجبته فقلت:لبيك**).[46]

أمّا في موضع النّفي: **(ما جاءني زيد فعمرو)**؛ فالمعنى هو نفي لتعقيب مجيء عمرو لمجيء زيد،ومجيئها في الجمل يأتي للسّببية، فتدخل على الجزاء مع تقدّم الشّرط نحو: (**إن لقيته فأكرمه**)، وقد تكون في غير موضع الشّرط مثل: **(زيد فاضل فأكرمه)**، إلاّ أنّه شرط في المعنى[47].

- الحرف ثمّ:

تفيد الجمع والتّرتيب مع التّراخي، يقال:(**مررت بزيد ثمّ عمرو**)، وقد تجيء لمجرّد التّرتيب في الذّكر والتّدرج في درج الارتقاء، وذكر ما هو أولى، من دون اعتبار التّراخي، ولا كون الثّاني بعد الأوّل زمانا، كقولهم: (**إنّ من ساد ثمّ ساد أبوه، ثمّ قد ساد قبل ذلك جدّه**)؛ والمعنى ترتيب درجات المعالي للممدوح، وذلك أنّ المقام يخصّ الممدوح ويتوجّه إليه بخطابه، كونه حاضرا، فسيادة شخصه أخصّ في الذّكر والإشادة، وإن كانت سيادة آبائه الّتي هي من قبيل الزّيادة في تعظيم الممدوح[48].

- الحرف حتّى:

يذهب الرّضيّ إلى كون (حتّى) تفيد أنّ المعطوف هو الجزء الفائق، إمّا في القوّة أو في الضّعف على سائر أجزاء المعطوف عليه، وقد يكون تعلّق الفعل العامل في المعطوف عليه والمعطوف بما بعد(حتّى)؛أسبق من تعلّقه بالأجزاء الأخر، نحو: (**مات النّاس حتّى الأنبياء**)؛والمقصود من ذلك أنّ التّرتيب

46 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص665.
47 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص366.
48 - ينظر: المصدر السّابق، ج2،ص369.

الخارجيّ لا يعتبر فيها أيضا، كما لا يعتبر فيها المهلة، بل المعتبر فيها ترتيب أجزاء ما قبلها ذهنا من الأضعف إلى الأقوى، ومن الأقوى إلى الأضعف، في مثل: **(قدم الحاج حتّى المشاة)**[49] .

فالرّضيّ من خلال هذا التّحليل التّداولي لمعنى (حتّى)؛استنبط المعنى الوظيفي الدّقيق الّذي يؤدّيه هذا الحرف، بأقصر لفظ، وذلك من خلال عقد مقارنة بين ما قبلها (المعطوف عليه)، وما بعدها (المعطوف)، واستخلص أنّ العلاقة بينهما علاقة الجزء بالكلّ أو العكس، والأقوى بالأضعف أو العكس، وكما قال؛ فإنّ ما بعد (حتّى) هو الجزء الفائق، وهذا ما تفطن له دون غيره من النّحاة، وهو أنّ (حتّى) تفيد المهلة والتّرتيب، وذلك من خلال تحليله الوظيفي للتّركيب، مستعينا بمقصدية المتكلم وعلاقة الطّرفين ببعضهما بالإضافة إلى عناصر سياقية.

ويعدّ هذا من صميم الدّرس التّداولي؛ فالمعاني الّتي تؤدّيها هذه الحروف متعاقد عليها بين مستعملي اللّغة مسبقا، وبالتّالي؛ فإنّ المقاصد الّتي يضمنها المتكلّم هذه الحروف هي معارف مشتركة بينه وبين المخاطب، ثمّ إنّها إلى جانب ذلك مفاتيح دلالية تختصر المعاني الكثيرة الّتي تؤدّيها في سياقات متنوعة.

- الحروف أو وإمّا وأم:

(أو)و(إمّا) متشابهتان في الوظيفة؛ وهي التّخيير بين أمرين، أمّا (أو) فقد تأتي حرف استئناف، إذا وقعت بعدها جمل، والحالات عموما الّتي توظف فيها هي: أن تعطف مفردا على مفرد،نحو:(**جاءني زيد أو عمرو)**، والجملة على الجملة؛ مثل: **(ما أبالي أقمت أو قعدت)**[50].

49 - ينظر: نفس المصدر، ص369.

50- ينظر: المصدر السّابق، ج2، ص369.

وفي معنى الاستئناف؛ يوظّف الرّضيّ عناصر السّياق وحال المتكلّم الّتي كان فيها وطرأت عليه، ويراعي هذه الحيثيات في قوله: «**(أنا أخرج اليوم)**، ثم يبدو لك الإقامة فتقول: **(أو أقيم)**؛ أي: بل أقيم على كل حال وهي في هذه الصورة محتملة للعطف، فتكون على ذلك التّقدير متردّدا بين الخروج والإقامة»[51].

وهذا يفسّر أمرا؛ وهو انعكاس نفسيّة المتكلّم وظروفه الخارجيّة والدّاخلية على عملية إنشائه للخطاب، ووضعه كل وظيفة موضعها الّذي تعبّر عنه وتعكس فيه ذلك الحال، وهو ما يلمسه المخاطب من الاختيارات الّتي وظّفها المتكلّم، والّتي ترشده إلى المعنى المقصود والمراد بحذافيره.

يشرح الرّضيّ قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(الصافات: ١٤٧)، أنّ(أو) للإضراب؛ أي: بمعنى (بل)، وعقّب على مفهوم (أو) هنا فقال: «وإنمّا جاز الإضراب بـ (بل) في كلامه؛لأنّه أخبر عنهم بأنّهم مائة ألف، بناء على ما يحزر الناس من غير تعمّق، مع كونه تعالى عالما بعددهم وأنّهم يزيدون، ثم أخذ تعالى في التّحقيق، فأضرب عما يغلط فيه غيره بناء منهم على ظاهر الحزر، أي: أرسلناه إلى جماعة يحزرهم الناس مائة ألف، وهم كانوا زائدين على ذلك... »[52].

وبالتّالي؛ فإنّ الإضراب عن حكم الخبر إلى حكم آخر استجد أو تبيّن؛ هو معنى من المعاني الّتي توقعها حروف العطف، ولهذا يمكن القول بأنّ هذه الحروف تملك قوّة إنجازية تمكّنها من إيقاع معنى أو تغييره إلى آخر، أو توقّعه، أو ترتيب أحداثه، وجمعها، وهكذا.

وعن معنى (أو)؛ تكلّم الرّضيّ عن الحالات الّتي تعتري المتكلّم في توظيفه لها، والسّياقات الّتي تتراوح فيها، وهي ثلاثة: الشّك والإبهام والتّفصيل، بالإضافة إلى الأمر:[53]

51 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص369.
52 - نفس المصدر، ج2، ص396.
53 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص370.

- **(أو) للشّك:** إذا أخبر المتكلم عن أحد الشيئين، ولا يعرفه بعينه، وذلك مثل قوله:**(جاءني زيد أو عمرو)**، وهذا إذا لم يعرف الجائي منهما.

- **(أو) للإبهام:** أن يخبر عن شيء، وهو يعرفه بعينه، ولكنّه يقصد أن يبهم على المخاطب،كقول الشاعر:

وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر

وذلك أنّه يعرف نسبته إن أراد الإبهام، قصدا، وهذا أشبه بقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾(يونس: ٢٤).

- **(أو) للتّفصيل:** فإذا لم يقصد المعنيين السّابقين؛كان تفصيلا،مثل: **(هذا إمّا أن يكون جوهرا أو عرضا)**، إذا أراد المتكلم الاستدلال على كونه (جوهرا) أو العكس.

- **(أو) للأمر:** وهذه تتعلق بالمخاطب، فإذا جمع له أمران فيهما فضيلة وشرف في الغالب؛ فإنّ المتكلم يقصد إلى الإباحة، مثل قولهم: **(تعلّم النّحو أو الفقه)**، و**(جالس الحسن،أو ابن سيرين)**.

وقد فرّق الرّضيّ بين فعلين إنجازيين هنا، وهما **الإباحة والتّخيير**؛فالإباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على أحدهما، أمّا في التّخيير؛ فإنّه يتحتّم أحدهما ولا يجوز الجمع.

ورغم القوة الإنجازية لحروف**(أو، أم، إمّا)**؛ إلاّ أن الرّضيّ أشار إلى اعتبار آخر، خارج عن السّياق المقالي، إذ المعاني الّتي تحدثها هذه الحروف، ليست من قِبلها فقط؛ وإنّما في نظر الرّضيّ هناك اعتبار آخر؛ ففي الشّك يكون الأخذ بهذا المعنى من قبل جهل المتكلم، وعدم قصده إلى التّفصيل والإبهام، وفي

التّفصيل يكون من حيث قصده إلى ذلك، والإباحة تكون من حيث كون الجمع يحصل به فضيلة، والتّخيير يكون من حيث لا يحصل به ذلك.[54]

وهذا يدخل في مقصديّة المتكلّم والاستراتيجيّة الّتي يوظّفها بالوسائل اللّغوية المتمثّلة في حروف العطف، والّتي يكون فيها للسّياق حضوره القويّ في توجيه المعنى، وتكون هذه الحروف في سياق النّفي وذلك كالآتي:

**(رأيت زيدا أوعمرا)**؛ أي: ما رأيت واحدا منهما، إذا انتفت رؤيتهما معا.

- تحليل وظيفي لمثال: (رأيت زيدا أو عمرا)

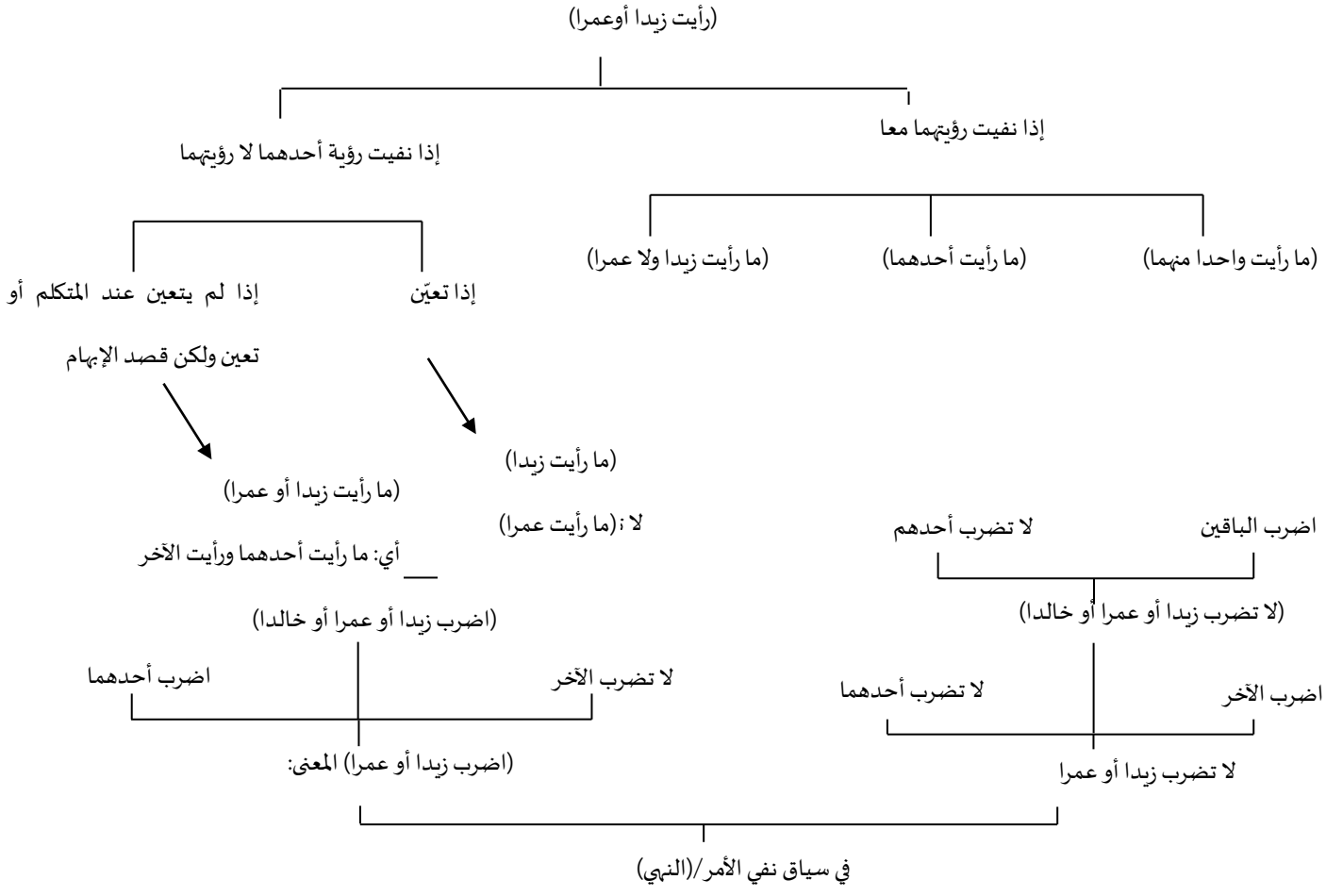


54- ينظر: المصدر السّابق، ج2، ص370.

وهو ما يسمى بالمحتوى القضوي، المتضمّن في الجملة، والاقتضاء هو تضمين الكلام عكس ما يحمله، وهذا ما لاحظه الرّضيّ في الأمثلة السّابقة.

- الحرف إمّا:

بمعنى أو، إلاّ أنّ المعطوف عليه لابدّ أن يكون مصدّرا بـ(إمّا) أخرى، مثل: **(جاءني إمّا زيد وإمّا عمرو)**؛ فهي للتّخيير،وقد تأتى مع(أو)، مثل: **(جاءني إمّا زيد أو عمرو)**، وكثيرا ما ترد في سياق الاستفهام مع همزة الاستفهام، مثل: **(أزيد عندك أم عمرو؟)**.[55]

- الحرف أم:

تأتي في سياق الاستفهام منقطعة ومتّصلة؛أمّا المتّصلة، فهي في مثل قولهم:(أقمت أم قعدت؟)،(أنائم زيد أم انتبه؟)، وفي المنقطعة يقال: (أقام زيد أم تكلّم؟)، أو(أقام زيد أم قام عمرو؟)، أو(أزيد قائم أم هو قاعد؟)،

أو**(أزيد أخي أم عمرو؟)**؛ لأنّ المتكلّم لو أراد الاتّصال لاكتفى بمفرد منها، إذ الاتّصال يقتضي كون ما قبلها وما بعدها في تقدير كلام واحد.[56]

- الحروف لا وبل ولكن:

- **لا:** تأتي لتحقيق معنى **نفي الحكم عن مفرد** بعد إيجابه للمتبوع، وتكون بعد خبر موجب أو أمر، وذلك مثل:**(ضربت زيدا لا عمرا)**،و**(إضرب زيدا لا عمرا)**[57].

55 - ينظر: المصدر السّابق، ج2، ص372.
56 - ينظر: المصدر السّابق، ج2، ص374.
57 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص378.

- **بل:** إذا كان بعدها مفرد (أي كلمة)؛ جاء معناها لتدارك الغلط الّذي قد يحصل للمتكلّم أثناء تبليغه للخبر، فيتداركه بعد أن أدلى بالخبر بالحرف (بل)، للدّلالة على **الإضراب على الحكم الأول، والعدول عنه إلى ما بعده**، وذلك مثل: (**قام زيد بل عمر**)، فيكون الإخبار عن قيام (زيد) غلطا يجوز أن يكون قد قام، وإن لم يقم أخذت بـ(بل)، أنّ تلفّظك بالاسم المعطوف عليه كان غلطا عن عمد أو عن سبق لسان.[58]

وفي مفهوم الاقتضاء؛ فإنّ(بل) إذا أدخلت على نفي أو نهي اقتضت عكس الحكم الأول، وذلك في مثل: (ما جاءني زيد بل عمرو)؛ يقتضي أنّ عمرا هو الجائي، وزيد لم يجيء، وإذا قيل:(قام زيد لا بل عمرو)؛ أفاد المتكلم الإضراب عن الحكم الأول، وهو قيام زيد، إلى إثباته للمعطوف بـ(بل)، وهو قيام عمرو، وكذلك قولهم: (إضرب زيدا لا بل عمرا)؛ والمعنى: (لا تضرب زيدا واضرب عمرا).[59]

وأمّا إذا كان بعد(بل) جملة؛ أفادت الانتقال من جملة إلى أخرى أهمّ منها، قد تأتي لتدارك الغلط مثل:(ضربت زيدا بل أكرمته)، وفي الاستشهاد بالمعنى الأول؛ قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾(الشعراء:١٦٥)؛ إلى قوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(الشعراء: ١٦٦ )[60].

لكن: تفيد معنى الاستدراك؛ مثل: (ماجاءني زيد لكن عمرو. )، يقول الرضي: " وأمّا لكن؛ فشرطها مغايرة ماقبلها لما بعدها نفيا، أو إثباتا، من حيث المعنى، لا من حيث اللفظ...،إنما جئت بلكن دفعا لوهم

58 - ينظر: نفس المصدر، ج2، ص378.
59 - ينظر: نفس المصدر، ج2،ص379.
60 - ينظر: نفس المصدر، ج2،ص379.

المخاطب أنّ عمرا أيضا لم يجيء كزيد؛ فهي في عطف المفرد نقضه،لا لأنها للإثبات للثاني بعد النفي عن الأول، ولا للنفي عن الثاني بعد الإثبات للأول."[61]

يُعتبر هذا هو جوهر التحليل التداولي للرضي. ففي المثال: "ما جاءني زيد **لكن** عمرو"، يرى الرضي أن المتكلم استخدم **"لكن"**ليس لمجرد إثبات مجيء عمرو بعد نفي مجيء زيد، بل **"دفعًا لوهم المخاطب"**الذي قد يفترض أن عمرو أيضًا لم يأتِ. فالحرف هنا يعمل كأداة تصحيح ذهني، تمنع المخاطب من استنتاج خاطئ وتوجهه إلى المعلومة الصحيحة.

وخلاصة الأمر في تحليل الرّضيّ لمعاني حروف الجر والعطف، ومتابعة معانيها داخل التّراكيب والصّياغات المتعدّدة، والسّياقات المتنوّعة؛ أنّ الرّضيّ راعى في تحليله لها عدّة اعتبارات بدءا بالمتكلّم، والمخاطب وانتهاءً بالسّياقات الخارجيّة، كما التفت إلى القوّة الإنجازيّة لهذه الحروف من خلال المعاني الّتي تؤدّيها داخل السّياق، والّتي تخوّلها أن توقع أفعالا كلاميّة من شأنها أن تؤثّر في المخاطب.

**5. خاتمة:**

وعليه؛ فإنّ هذه الدّراسة الموجزة، والمركّزة سجّلت مجموعة من الأفكار المتعلّقة بدراسة معاني حروف المعاني عند الرضيّ، من منظور وظيفي- تداولي؛وأهمّ النّتائج المتوصل إليهافي هذه الدّراسة ما يلي:

- يُعد تحليل الرّضي لحروف المعاني نموذجًا متقدّمًا في التراث النّحوي، لأنه تجاوز المنهج الشكلي التّقليدي إلى منهج وظيفي ودلالي عميق.
- لم ينظر الرضي إلى القواعد النحوية على أنها مجرد أحكام جامدة للصواب والخطأ، بل اعتبرها أدوات لغوية تخدم وظائف تواصلية محددة، وكان تحليله يركز على العلاقة الوثيقة بين

61 - الرضي، شرح الكافية، ج2، ص377

الشكل اللغوي، ومقاصد المتكلم، معتبرًا أن اختيار صيغة نحوية معينة هو فعل قصدي يهدف إلى تحقيق غرض معين في سياق تواصلي محدد.

- استعان الرّضي بجملة من المفاهيم الوظيفية التّداولية كمفهوم الفائدة، والمعنى، والسياق وعناصر الخطاب، وسعى إلى إبراز الفروق بين المستويات التّداولية للتّراكيب بحسب الأنماط المقامية الّتي ترد فيها تطبيقا لقاعدة: "لكلّ مقام مقال"؛فقد فهم الرّضي بأنّ اللّغة لا تملك وظيفة واحدة وهي الإبلاغ؛ وإنّما تتعدد وظائفها بحسب أنماط الكلام.

- لم ينظر الرضي إلى الحرف على أنه مجرد أداة ربط جامدة، بل اعتبره أداة تواصلية تحمل دلالات تتغير، وتتحدّد بناءً على مقصد المتكلم، والسياق الذي ترد فيه.

- إنّ هذا الفهم العميق يكشف أنّ الرضي كان يدرك مرونة اللغة، وقدرتها على نقل المعاني الدقيقة عبر أبسط الأدوات، مما يجعل تحليله للحروف جسرًا يربط بين أصالة النحو العربي وفهمنا الحديث للغة.

- وبهذا، أثبت الرّضي أنّ المعنى الحقيقي، والمضمر لحروف الجر، والعطف لا يتضح إلّا من خلال المقامات التّواصلية المتنوّعة، وأنّ هذه الأدوات الصغيرة تخدم الاقتصاد اللغوي، وتعزز فهم المعنى بأقلّ جهد ممكن.

- يمكن تلمس مفهوم الفعل الكلامي وقواه الإنجازية من خلال حروف المعاني، التي استخلص الرضي مؤدّاها في السياق، من خلال التطبيق النحوي على نماذج الاستعمالاللغوي.

## قائمة المصادروالمراجع:

1. عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللّسانيات العربيّة، مكتبة لبنان-ناشرون، طبعة أولى، بدون ت.
2. دبّة الطّيب، مبادئ اللّسانيات البنيوية-دراسة تحليلية إبستيمولوجية -، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين-دار القصبة للنّشر، الجزائر، ط أولى (2001م).
3. مسعود صحراوي، الأفعال المتضمّنة في القول بين الفكر المعاصر والتّراث العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة-الجزائر،2004م.
4. نهاد الموسى، [نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النظر اللّغوي الحديث]، دار البشير، ب-ط.
5. مصطفى احميدة ، نظام الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة.
6. فضل خليل إبراهيم، [رضي الدّين الإستراباذي ومنهجه في شرح الكافية]، رسالة ماجستير، كليّة الدّراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، عمّان-الأردن، (2002م).
7. ليلى حسين عثمان، رضي الدّين وكتابه شرح الكافية، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد-الأردن، (2005م).
8. مسعود صحراوي، التّداولية عند العلماء العرب، دار الطّليعة، بيروت-لبنان، ط1(2005م).
9. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللّسانيات التّداولية، تر: محمد يحاتين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب-ط.
10. عبد الرّحمن طه، اللّسان والتّكوثر العقلي، المركز الثّقافي للنّشر، الدّار البيضاء-المغرب، ط1(1998م).
11. الرّضي، شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، طبعة(1415هـ-1995م)، ج2.
12. رضي الدّين الإستراباذي ، شرح الكافية في النّحو، ج2.
13. عوض إبراهيم وحسين إبراهيم، دلالة حروف المعاني في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، (2006م).
14. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة العامة قصور الثقافة، سلسلة الذخائر (ع 146)، ج1.
15. مسعود صحراوي، مقال: المنحى الوظيفي في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، العدد 01، المجلّد 05، 1424- 2003 ، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية